

شعرية العنوان في نثر نزار قباني (نماذج مختارة)

The Poetry of the Title in the Prose of Nizar Kabbani (Selected Samples)

الضاوية قطواش¹ / أ.د. محمد فنتازي²Daouya katouache¹ / Pr.Dr Mohammed fantazi²

مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات

جامعة عمار ثليجي - الأغواط (الجزائر)

University of Ammar Telji – Laghouat (Algeria)

d.katouache@lagh-univ.dz¹ / mfantazi@yahoo.fr²

تاريخ النشر: 2023/06/02

تاريخ القبول: 2023/02/07

تاريخ الإرسال: 2022/08/03

ملخص البحث

تشكل شعرية العنوان فضاء مفتوحا على كلمات وإشارات وتراكيب معبرة عن التجاوز المحفوف بالجمالية، ولذلك فهي تطرح رؤيا أخرى مكتملة تؤسس لمظهر لغوي متسع يوحى بتداعيات مفتوحة في جوهرها على العمق الذي يحدث التوقع، فيتجه بك إلى أفق انتظار تتعالق فيه الدوال لتطرح ذلك المطلب الإبداعي الموحد حاملا تلك البنيات في خبايا تأليفها وفي حدودها تهز سكون القارئ، والسؤال المطروح: كيف كانت شعرية العنوان في نثر نزار قباني؟ ماذا طرحت من إضافات ورؤى جديدة؟ كيف تشكلت في سياقاتها؟

إن شعرية العنوان في النثر النزارى تولد بآلياتها تحولا يؤسس لأسرار تفصلية داخل النصوص وتعبر عن تلك الحمولة التي توطر لتدفع إنتاجي يصنع مفاصل محورية فيها. وهذه الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على الخصائص التي يتسم بها العنوان، ليستطيع بث تنوع وتجديد بتقنيات مستمدة من شعرية فياضة تنبئ عن تجربة كاشفة لجمالية مكتملة، لتؤول إلى تحول مطبوع ببصائر تجاوزية توطر لعلامات خاصة.

الكلمات المفتاح: شعرية؛ عنوان؛ نثر؛ جمالية؛ نزار قباني.

Abstract :

The poetry of the title forms an open space on words, signs and compositions expressive of the fraught transcendence of the aesthetic, and therefore it puts forward another complete vision that is intrinsically open to the depth to which the expectation occurs. It leads you to a waiting horizon where the functions get struck to shake the reader's stillness in the secrets of its authorship and within its limits. The question poses is : how was the poetry of the title in the prose of Nizar Kabbani ? What new additions and insights have you provided ? How they were formed in their contexts ?

^{*}الضاوية قطواش: d.katouache@lagh-univ.dz

This study aims to shed light on the characteristics of the title, so that it can be diversified and renewed with techniques derived from poetry that foreshadow a revealing experience of a complete aesthetic.

Keywords: Poetry ; title ; prose ; aesthetic ; Nizar Kabbani.



مقدمة:

العنوان شفرة بآلياتها تشكل علامة مميزة وتبني مفاهيم جديدة تنبثق من أفكار عميقة، لتؤسس رؤى خاصة تؤطر ذلك التعالق الذي يؤكد بكل أبعاده وجود إنجاز يطرح تشكيلا بمتغيرات شديدة التنوع والاختلاف. كما أن شعرية العنوان بمظهراتها تخلق امتدادا وتشكل تحولا يخلق نمطية تفرض امتزاجا متفاعلا يبني عملا فنيا بتشكيل وتخطيط، يخلق التشعب لينهض بصفحات جوهريّة تحوي تشكيلات إنتاجية تضيف ذلك التحول الفكري، وتتجه إلى رسم فضاءات تضبطك على زوايا مختلفة وبدلالات حاسمة تمكن القارئ من اللوج في السياق النصي بطريقة تتجلى فيها مرافقة فكرية وجمالية.

إنه تأثير بكل توجهاته يصير فيه الأديب أمام محك فيضبط بمفاتيح وصولا إلى اقتحام فكر القارئ والتأثير فيه بمنطقة مشدودة فينبع ذلك الجمهور ليصير شريك الكاتب في علاقات واسعة النطاق، وفي هيئة خصبة لتأسيس نص مكشوف يخضع للعواطف، الأفكار، اللحظات، الخصوصية، والتأملات العميقة، في مجال فسيح بعيد عن الضغوط وصولا إلى الافراد والتميز وبساطة؛ لأنه نص يغذي عمق القارئ بمزايا مفتوحة وكلمات حية تحدث الأثر والتأثير قادرة على إحداث التغيير. هذا ما سنحاول البحث فيه بداية بالحديث عن شعرية العنوان، والتركيز على كنهها وحقيقتها في نثر نزار قباني، ثم الوقوف على مجموعة نماذج تطبيقية، انتهاء بالخاتمة.

أولا. شعرية العنوان:

إن شعرية العنوان تشكل نقطة تقاطع تفتح المجال أمام تلك المساحة الواسعة للنص؛ بعمق مجالها واتساع حركتها لتحقيق نمط الاتصال المباشر بالنص في مساحة لا محدودة تؤسس لهوية النص. شعرية العنوان من القضايا الأساسية والمهمة التي تشغل فكر النقاد الباحثين المحدثين؛ لما لها من خصوصيات تعمل على التأثير في بنية النص وتوجيهه توجيهًا دلاليًا بمقاصد مختلفة.

لذلك يعتبر العنوان عنصرا مهما وفعالا بتشكيلاته المركزية؛ بإشاراته المختلفة وإجراءاته يحدث أثرا بالغاً في ذهن المتلقي " العناوين رسائل مشفرة لها نظامها الخاص..فتبين أن العنوان وظيفة انفعالية ومرجعية وانتباهية وجمالية وميتالغوية"¹.

يعمل العنوان على إيقاظ حس القارئ وجذبه، وذلك عن طريق تراكيبه المفاجئة، الغامضة، اللامألوفة، والتي تكسبه نظاما خاصا، فيقوم العنوان على إغراءات وتحفيزات لا تقاوم لتمتع القارئ فرصة صنع المعنى؛ لأن العناوين تتطلب قارئاً واسع الثقافة يتعامل معها بعمق ودكاء، ليكتشف مكن جاليتها وسحرها، وبذلك فهي تأخذ جزءا كبيرا من فكره دفعا به إلى الولوع في عالم النص.

شعرية العنوان يستوجب أن تتعامل بصورة لا تغدو مستهلكة بقدرما تحمل ذلك الإبداع الذي تحضر فيه الجاهزية لتسلط فطنة في ذهن المتلقي؛ تدفعه إلى ذلك الحس الجمالي الذي لا يفتقد إلى رونق. إن شعرية العنوان تتجاوز إلى إقامة ذلك التصور المبني على استراتيجية مفتوحة، وبرؤية تحمل إجابة عن سؤال في ذهن المتلقي. إنها عملية إبداعية بميكانيزماتها تطرح محاور أساسية قادرة على شحن الدفقة المتتالية في ذهن المتلقي؛ لتحيطه بمضمون متحول ولا محدود بآليات تكمن طاقتها في تلك المفردات المحفزة بعناصرها لتكتمل هيئة دلالات وتظهر بشكل متسع، يزدحم في فضاء يحمل خطابا متكاملًا يبرز سكون القارئ قبل أن يقرأ النص.

هنا تتساق الجملية في قاعدة نوعية لتفرض أبعادا تعطي لشعرية العنوان توزيعا خاصا بتعلقه يرفق المتلقي في مظهر تتقاطع فيه الأبعاد الفكرية والجمالية في مدارات مفتوحة على إيماءات وطاقت بأفاق فنية عميقة، لتحرك تلك الضرورة فتحدث شرحا ثم تفسيرا يوطر لمكانة ثابتة وتركيبية تؤشر لخطاب نصي بكل جزئياته وتفصيله.

شعرية العنوان ترتبط بشبكة غير محدودة من العلامات التي تؤسس لعلاقات تكمن أهميتها في قراءة المتن. هي بواطنها الفنية موجهة توجيهها مثلا في لفت انتباه المتلقي إلى ذلك التسلسل المنهج الذي يتساقق باستراتيجية محكمة مع الرؤى الفكرية والإبداعية.

ثانيا. شعرية العنوان/ نثر نزار قباني:

شعرية العنوان اكتشاف آخر بمكوناته يلج بك في عالم مفتوح على التشويق والإثارة بدلائل خطابية غنية بمضامين تؤهل لإنتاجية خاصة. وتصنع مراوغة وشفرات متداخلة بمقاصدها ومعانيها، تؤسس لفاعلية تحمل في طياتها: الدهشة، الإثارة، التمرد، التشابك، لتفضي إلى أفق مفتوح وتحفظ خصوصيته تحمل المواجهة والإثراء. إنها حلقة متتابعة بسلسلة استراتيجية تحمل مخزونا عميقا يراعي علاقات كشف متمرس؛ مؤسسا لمحاولة فنية وإشارات مخبوءة بعلاقات محممة.

فالعنوان يقفز بك إلى تلك البؤرة المتأججة التي تحتكم إلى الاكتمال، التواتر، والتصادم، لتكشف فيه الشعرية عن حالة أخرى من التلذذ والتفاعل الديناميكي الذي يحكم أكتالا ويؤدي إلى تلك الجمالية. إن شعرية العنوان في نثر نزار قباني لا تفتقر إلى الترابط بعناصره، مؤسسا لهوية تغري الجمهور وتكشف عن عناوين فاتنة، تجعلك في خيار ومواجهة مباشرة مع علامات وإيجاءات تخدم ذلك التفاوت الإبداعي، الذي يحمل فاعلية تساهم في إبراز خصوصية تجعلنا في حالة اتصال تام مع بني عميقة متداخلة تتسم بالتنوع والتأثير.

إن شعرية العنوان في النثر التزاري تفتح لألحة مفتوحة على إلزامية؛ بمقتضياتها لا نكون أمام عنوان فقط بل أمام حضور يوزعه إلى الرغبة الدائمة والكشف المسبق؛ فيتولد في أذهاننا احتفاء يوصلنا بتلك الطاقة الكامنة في المضمون، فيشكل ذلك التواصل المفعم بالترميز والمفاجأة؛ فتتأجج الشحنات وتشير إلى المحتوى الذي يرتسم على حدود العنوان ليكون العنوان بدوره خطابا معززا بتظاهرات لغوية لا مناص منها؛ تخدم في جزئياتها شعرية تجذب الجمهور وتعزز المحتوى بطريقة المحاورة. إنه استلهم آخر أسسته شعرية العنوان في النثر التزاري.

تأسست العناوين في نثر نزار قباني بطريقة موحية، مركزة ومكثفة، جاذبة للمتلقي. أحيانا تبدو مفاجئة وأحيانا أخرى تحمل المراوغة والتحليل، لأنها ملغمة والهدف من وراءها الوصول إلى مفارقة وتنوع واختلاف يحيلك إلى أسس فنية. ما تحمله العناوين تلاحم دلالي يثير ويجذب الانتباه ويجعلك تتساءل عن محتوى النص، كما امتازت بعض العناوين بالانزياح الكامن وراء الألفاظ وهو بذلك يشير إلى المضمون الثري " إن دراسة العنوان بوصفه انزياحا لغويا، يسهم في إدراك أبعاد النص الشعرية، ومرامييه الفنية، بل إنه وسيلة فنية بالغة الأهمية في إضفاء الشعرية على النص من أول كلمة يتلقاها القارئ، الذي يسعى جاهدا لبلوغ اللذة الفنية "².

إنها عناوين بمفارقات حسية تحمل الكثير وتحيلك إلى ذلك النص المشتعل المفعم بتجربة غنية؛ فقد تعددت وتنوعت وحملت أبعادا مثيرة بفضاءات دلالية واسعة تعتبر كتلة مركزية؛ بثقلها عبرت عن توتر دائم بين الوعي والواقع، وحملت العناوين رهانات جالية توجهن نحو تذوق بخصوصيات لغوية هائلة معظمها ارتبط ارتباطا واضحا بالمفاجأة في سياقاتها. تتوثر يستغرقك ويفتح فضاء تفاعليا يحسد ويختزل أفكارا عميقة، حرص نزار من خلالها على التواصل مع الآخر بطريقة تجعلك ترصد الدهشة وثم ممكن الشعرية.

اختلفت وتنوعت أبعاد العناوين ولكل عنوان خصوصيته التي يحملها ومرامييه المقصودة إلى هدف معين، وبين كل هذا وذاك كان الهدف الرئيسي هو جذب القارئ حتى يبلغ لذة فنية ومنعة كبيرة قبل الولوج في النص " يشكل العنوان فكرة مختزلة تسمح بخلق تصور عام عن أفكار وممارسات منسجمة ومنظمة، ضمن إطار شامل من الرؤية المعرفية والجمالية "³.

ففي الأعمال النثرية الكاملة تنوعت العناوين، بعضها اشتمل على انزياح وبعضها الآخر على التضاد، وكانت كلها بالغة الأهمية وأسهمت إسهاما كبيرا بوظائفها المتعددة فأضفت بذلك على النصوص شعرية متميزة، وحملت رؤية معرفية شاملة وأسست لأطر جمالية وطرحت أفكارا منسجمة في قوالب ومفردات وتركيب حملت أشكالا خاصة؛ وأعطت صورة لغوية متميزة. يمكن القول إن العناوين في نثر نزار قباني حققت مقاربات هادفة وحددت مقاصد دلالية، لذلك فقد كان العنوان كونا خاصا وبنية نصية حملت قضايا مهمة حفظت كيان النصوص.

من أمثلة ذلك العناوين الآتية: اغتصاب العالم بالكلمات، الله والشعر، السفر في القاموس، الرقص بالكلمات، كلمات مكتوبة بحبر العناقيد، معركة اليمين واليسار في شعرنا العربي، البنادق والعيون

السود...والدارس لهذه العناوين يلاحظ ما تحمله من انزياحات، فهي بذلك تنطوي على مجموعة من الدلالات المركزة ذات حمولة دلالية تفتح الباب للتأمل والتفكير، أحيانا تحيلك إلى ما هو موجود داخل المتن وأحيانا تحدث نوعا من المفارقة، تلقى القارئ في مجال من التوتر والتفكير المعن.

ثالثا. نماذج تطبيقية (تأمل في شعرية بعض العناوين):

1. عنوان: "معركة اليمين واليسار في شعرنا العربي"⁴

هناك معركة واتجاهان (يمين ويسار) في الشعر العربي، ولعل ما يحمله هذان الاتجاهان إشارة كامنة لا تجدها إلا داخل النص، عندما تقرأ العنوان يتبادر إلى ذهنك ذلك الاختلاف الموجود بين الاتجاه التقليدي والاتجاه الحديث في الشعر العربي. ولكن تمثيل هذين الاتجاهين باليمين واليسار يغري القارئ ويجعله متتبعا للدلالات بشغف كبير، طارحا السؤال: ما هي المعركة؟ وما هو اليمين؟ وما هو اليسار؟ أهنك أحزاب وسياسة أم نحن أمام قضيتين في الشعر العربي؟ إن هذا التشكيل اللغوي (معركة/ اليمين/ اليسار) يعكس تلك المسحة الفنية بأبعادها الدلالية، وأن هناك عمقا داخل النص وقضايا موازية يطرحها نزار قباني.

يؤدي بك هذا العنوان إلى شعرية إشكالات جوهرية تعالج مستويات في الشعر العربي، وتطرح معركة لا تخضع للانسجام بقدر ما توحى إلى ذلك التضارب المطروح بين تيارين مختلفين. العنوان مركب من عناصر تصوغ تشكيلا يصب في منطلقات تحكم الشعر العربي بمحاور خصوصية وتجعله غير منقطع عن ذلك التيار من الجذب. هذا النمط من العناوين يحمل متسعا متحولا ومتداخلا بمقاصد ودلالات تحمل ذلك العتاد الجوهري الذي يجعل من المحلل يفكك النص قبل الولوج فيه؛ فالعنوان يؤدي "دورا محوريا في تشكيل اللغة الشعرية من خلال علاقة الاتصال والانفصال مع النص، ولا تتحدد هذه العلاقة من خلال البعد الإيصالي فحسب وإنما من خلال البعد الجمالي"⁵.

عنوان يقدم معرفة كبرى؛ فهي معركة تنضبط مع ذلك التنافر الذي يحدث في اليمين واليسار وهو الاتجاه التقليدي والاتجاه الحديث؛ ليتنامى عبر محور أساسي هو الشعر العربي وهذا ما يحدد هوية النص. فالعنوان اتخذ أهمية كبرى من حيث التيمات (يمين/ يسار/ معركة) والعمق، ليجعل من وظيفته جوهرية أساسية لأنها تشكل تلك اللغة الشعرية المكمل لما وراء النص. هذا ما يؤكد أيضا وجود علاقات انفصال، وتضاد يشتغل وفق آليات بمقوماتها تؤكد إنتاج علامات جديدة بمسار دلالي يؤول دور مفصلي في تشكيل اللغة الشعرية.

2. عنوان: "سقوط الوثنية الشعرية"⁶

فضاء دلالي مفتوح شكله هذا العنوان وذلك من خلال لفظة الوثنية، انزياح دلالي يجعلك تطرح السؤال: وهل هناك وثنية في الشعر؟ ومن المعلوم أن كلمة الوثنية ترتبط بعبادة الأوثان والأصنام فانزاحت إلى الشعر. إن هذا المعنى المقصود والخفي إشارة إلى القصيدة القديمة وما تحمله من معايير وأنماط، معتبرا إياها وثنية شعرية لا بد من سقوطها. إن هذا التبادل العكسي واستخدام الكلمة في غير موضعها يفعل البنى اللغوية ويغير

نسيج المفردات والأفكار؛ لتوصلك إلى مملكة حرية تسقط فيها الضوابط الوثنية وبالتالي يحدث التجديد والاستمرارية والحدثة.

إن اللفظة الأساسية التي يحملها هذا العنوان هي (سقوط) لأن لها دلالة مميزة بعلاقات منطقية تؤسس لوعي مبدع، وتؤكد وجود علاقة تشابكية بين سقوط الوثنية والشعر. بنية بدالاتها المعجمية تبرز ذلك الإيجاء المقصود والكامن؛ وتضبط تلك الجزئيات التي تشير إلى وجود استراتيجيات كامنة بعلامات تكيفية تختزل النص وتوازيه في حملته وعلاماته الإيجائية، "يمكن أن نتحدث عن شعرية العنوان وهي شعرية ربما بدت موازية لشعرية النص من حيث يقوم النص بدور فعال في تجسيد شعرية النص وتكثيفها أو الإحالة إليها"⁷.

ومن ثم فهناك تشكل عام في هذا العنوان يؤكد ذلك الفضاء المخصص المشير إلى سقوط القصيدة القديمة؛ وفق هندسة تستدرجنا للولوج في شكل جديد للقصيدة يحو الشكل التقليدي ويسقطه بإشارات تلميحية أخذ فيها العنوان حيزا كثيفا لإبراز المعنى الخفي.

3. عنوان: "الرقص بالكلمات"⁸.

عنوان يحدث خلخلة كبيرة؛ فكيف يكون الرقص بالكلمات؟ انزياح دلالي: فالرقص عادة يكون بحركات جسدية، فكيف تؤدي بالكلمات؛ والكلمات تنتمي إلى حقل معجمي فكري؟ نعم إنه رقص من نوع آخر تتفاعل فيه الكلمات مشيرة بذلك إلى محتوى النص. فنزار يقصد بهذا العنوان أن الشعر ما هو إلا رقص بالكلمات، فكما أن هناك تكامل بين الجسد والفكر هناك تكامل بين الرقص والكلمات (فاللفظتان غير متجانستان لكنهما تعبران عن المتن) والكلمات لا حدود لها، والفكر يرقص بطريقته الخاصة والمميزة عن طريق كلماته ليصنع روح الإبداع مثله مثل الرقص بكامل أعضاء الجسد. إن الرقص بالكلمات يحقق مفارقة، ويوقع الذهن في صورة جديدة غير مألفة ويحدث داخله ذلك التوقع اللامحدود، الذي ينهي الحواجز الفاصلة بين الأشياء.

تقنية خاصة تجسد وتجلي خصائص اللغة الشعرية، فالعنوان "لم يعد مرشدا نتعدها إلى غيره، لقد أصبح حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي النصي، وأصبح بالإمكان أن نتحدث عن شعرية للعنوان كحدثنا عن شعرية النصوص المعروضة بعد العنوان"⁹. فمعظم العناوين التي يستخدمها نزار قباني تخرج بصورة مباشرة بتجلياتها الاستعارية، مفرداتها تحمل ظواهر تنافرية ثم المفارقة التي تجذب وتتعدى حدود الشكل والسطحية إلى عمق يدفعك مباشرة إلى المتن؛ وبتقنية تحقق الذوق والقراءة في إطار تفاعلي وبكلمات جديدة تؤطر لبناء فني.

بعد هذا العنوان كثلة تفتح مجالا أمام الانزياح بتوقع يضبط الشكل اللغوي (الرقص، الكلمات) شكل مشترك يجمع التنافر ليؤكد حمولة يختزلها العنوان بأن هناك رقصا بالكلمات. إذ تحمل الكلمات في طياتها طاقة تؤدي تلك الوظيفة المفصلية وهي (الرقص)، توافق بإشاراته وتلميح يجعل "لغة العنوان تضيف إلى دلالاتها المعجمية والكامنة في الذاكرة الجمعية دلالات جديدة من خلال تعالقها مع سياق النص اللغوي الجمالي، من

خلال الإيجاء والترميز لا المباشرة والتسطيح مما ولد حافظا لدى المتلقي في البحث والتأمل في كشف المعنى وخلخلة التصورات والدلالات الجامدة والسطحية للغة العنوان¹⁰.

فتركيب العنوان يتجاوز الإطار العادي إلى تكثيف لا مشروط يمنح الحرية للكلمات ويؤسس لخصوصية تجمع محورين (الرقص، الكلمات). عناصر لغوية في اشتغالها تحقق أثرا حاسما في قراءة العنوان وتفتح الاحتمالات على سياق مكثف مخبوء.

4. عنوان: " مفاتيحي "

هذا العنوان تشكل في مفردة واحدة ثابتة على نمط معين، لتجعلك تطرح السؤال: ماهي هذه المفاتيح؟ وماذا يقصد نزار قباني؟ فاعلية هذا العنوان لا تتحدد زواياها إلا بعد قراءة المتن؛ فكلمة (مفاتيحي) تركز على إخفاء نموذج مرتبط بالشعر وعند قراءة المحتوى تتجلى هذه المفاتيح؛ لأنه يقصد بها مفاتيح شعره. عمق كبير تحمله المفردة وبنية مضمرة للأصل الغني الذي بني عليه شعر نزار.

هذه المفاتيح هي بمثابة المضمون وهذا ما نجده في المتن عندما يصرح: " مفاتيح شعري الطفولة..الثورة"¹² إن كلمة (مفاتيحي) مفصل محوري يخضع لمرجعية أساسية هي النص، بقدر ما حمل جزءا معتبرا من المعاني بقدر ما بقي مبهما يحتاج إلى شرح وتفصيل، فهذا النوع من العناوين يركز على مفردة واحدة ولكنه يبتث خطابا جاليا يجعلك تتصور ما يحمله وبطرق مختلفة، وبذلك شكل العنوان بعنصر لغوي واحد ذلك المجال الحاسم المؤكد لحضور تلك البنية المنفردة الموحدة؛ إذ يمكن اعتبارها خصيصة باستقلاليته الوظيفية تشكل مدخلا إلى حدود النص بل " لافته دلالية ذات طاقة مكتنزة ومدخل أولي لا بد منه لقراءة النص "¹³.

إنها عنونة مستقلة بعلاقاتها النوعية تكون أكثر شعرية وجالية تجمع وتلخص رؤية ثرية تضيف إلى شكل مقصدي مخفر يخدم المحتوى ويلخص الفكرة المركزية للنص، فالعنوان بكلمة واحدة يؤكد قوة تأثيره الكامنة في الاختصار.

5. عنوان: " اغتصاب العالم بالكلمات "

يحمل هذا العنوان انزياحا مكثفا وتناقضا كبيرا، فكيف يغتصب العالم بالكلمات؟ مفارقة واستشارة بأبعادها الدلالية تثبت أن الكلمات بما تحمله من عمق وأفكار لها القدرة على اغتصاب العالم. تشكيل خاص وفق رؤيا تضعك في إطار شامل ومؤسس وبنية لغوية فاعلة ومركزة تمس الفكر؛ فالكلمات بما تحمله تتخطى الحدود المرسومة لتعبر عن إبداع متجاوز بشكل يحدث تغييرا في المعادلة الطبيعية، حيث تقوم الشعرية بممارستين "فإذا ممارسة على (المدلول) فتتم إزاحته وإدخال (دال) في شبكة من العلاقات تقترح له (مدلولا جديدا) ليس متطابقا هذه المرة ولكنه احتمالي إلى أبعد حد. وإما ممارسة (الدال) تزججه عن تطابقه مع مدلولة محتفظة بهذا الأخير معيارا لاختبار الدال/ الدلائل التي ستشغل لأدائه بحسب الرؤية الإبداعية له "¹⁵.

وما يحمله هذا العنوان في بنيته يؤكد تلك الدائرة الدلالية الموحدة بين (الاغتصاب/ العالم/ الكلمات) ليفتح المجال أمام العلاقات المتشابكة والتي بوظائفها تحدد عناصر تكاملية وتحقق انزياحا يتسم بالشعرية

الجمالية، وعند تفكيك تلك الشفرات تؤول تلك اللغة بوظائفها الانفعالية لترسي مدا متشكلا يشمل العنوان بخصوصية حيث لا تتنافر الألفاظ؛ لتؤلف ذلك الجذب المحقق لشكل جديد يرتبط بغرض مركزي يؤسس لانزياح وفق نظام نوعي يجعل العنوان مفتوحا على وظائف مؤثرة.

والمقصود هنا بالاغتصاب دخول قوي وواضح لفكرة تحريضية من الكاتب ليضعنا في قالب مشدود ويخرج بنا من المعيار المعتاد إلى جمالية فذة تتحكم فيها الكلمات محققة بذلك أغراضا فنية. انزياح مركزي وخطوات دقيقة يقضي إلى منجز لغوي متشعب يستخدم الكلمة كسلاح، وهي آلية وعتبة من العتبات التي تحقق مقارنة مثيرة.

6. عنوان: "كلمات مكتوبة بحبر العناقيد"¹⁶

عادة تكتب الكلمات بالحبر، فكيف تكتب بحبر العناقيد؟ مفارقة تلف داخلها النص بأكمله؛ فاستخدام هذه الكلمة يحدث تفاعلا مثيرا بين الكلمات؛ ف (حبر العناقيد) تجاوزت الإطار البسيط إلى مدلول جديد؛ وهنا نرصد مفارقة تكشف عن البعد الكامن بين الألفاظ، وذلك لا يتأتى إلا من خلال ولوجنا في النص.

هذا العنوان هو لنص كتبه نزار قباني في أمسية ألقاها في دمشق - زحلة - المشهورة بكروم العنب وعناقيده، وعندما تقرأ النص تجده مع موعد وأمسية سحرية في ربوع دمشق؛ فكلمات العنوان مفاتيح تتعلق لتبرز وتشكل تلك العناصر المركبة والمتناسكة ف "القدرة الشعرية كفيالة بالتفكير فيما هو متناقض والعمل على مزجه وتوحيده"¹⁷.

(الكلمات / مكتوبة / حبر / العناقيد) تشكل متماسك مكثف يعكس ذلك التجاوز بوحدات لغوية متجاوزة بخصائص مميزة لتكون مخزونا دلاليا يبرز جانبا محددا وحضورا؛ لتؤسس اللغة لتلك البؤر التي تتواشج لتؤلف خلفية مميزة (حبر العناقيد). اختيار بخصائص لغوية يؤكد ذلك الترابط الذي يشير إلى لافتة تحفيزية تحتاج إعمال الفكر، وبذلك يعتبر هذا النوع من العنوان مذكرة تفسيرية للنص لأنه يتسع بخصائصه التأثيرية إلى هيكل لغوي بقيمته ينجح لغة شعرية مميزة.

7. عنوان: "البنادق والعيون السود"¹⁸

طرح هذا العنوان فكرة يشتعل وميضها بين البنادق والعيون السود، هو رسالة مشفرة بعث بها نزار إلى صديقته المجندة في المعسكرات. معادلة طرفاها البندقية والعيون السود، وكيف لهذه العيون السود أن تحمل البنادق؟ بهذه الإثارة يبقى الفكر مشدودا إلى تلك العيون السود الجميلة وهي تحمل البنادق، وهو ما يحيلنا مباشرة إلى انزياح دلالي وممكنه عيون جميلة سوداء في معركة كبيرة مشتعلة تحمل البنادق في صمود.

وإذا كان "كل عنوان يرتبط مصيره التأويلي أو التعبيري بآلية تكوينه ارتباطا لازما"¹⁹ فإن نزار استطاع أن يجمع بين البنادق التي تعكس: الصمود، التحدي، المعركة، الثورة والقوة، والعيون السود الرقيقة الجميلة؛ في تكثيف القصد من ورائه الإعجاب بالجنس اللطيف وهو في تحد للمعارك والبنادق والقتال. دلالات مركزية مكثفة تجعل هذا العنوان الذي اختاره نزار قباني " يخاطب من القارئ ثقافة وملكات ويستعمل من

اللغة طاقتها في الترميز (symbolisation) وليس هم التوصل إلى عكس المضمون أو الشكل بقدر ما تعنيه مفاجأة القارئ²⁰، فقد جمع بين شيئين مختلفين في أداء مباشر للمعنى ليعكس ذلك التناقض الذي يؤكد مزيجا وتوحيدا بين مخططين مختلفين.

(البنادق) بنية محددة و(العيون السود) بنية مضافة؛ أي تم إسناد العيون السود إلى البنادق للحصول على معنى ملائم. هناك تلاحم بين البنى ينبثق عنه تجاوز محمول يسهم في تشكيل لغة شعرية، فثمة بنية عميقة لا تنفرد بفاعليتها إن لم تنتظم مع بنى أخرى في علاقات موحدة.

8. عنوان: "العصافير لا تطلب تأشيرة دخول"²¹.

بشكل من الأشكال يجذبك هذا العنوان من أول وهلة، فالعصافير ليست مثل الإنسان ولا تحتاج إلى تأشيرة دخول إلى عالم نزار الشعري، عنوان مميز وبألفاظ متجاوزة وفاعلية دلالية مختزلة لذلك الارتباط بين الكلمات والذي يرصد إضافة بحمولتها. كلمات بمستوياتها وقدرة استخدامها تولد علاقة تسقط التأشيرة عن العصافير، وهنا يكون العنوان "مرجعا بداخله العلامة والرمز وتكشف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته، أي إنه النواة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص"²² حيث شبه العصافير بالإنسان؛ وتجاوز للتعبير عن حرية فكرية؛ حرية من نوع خاص؛ وبدقة متناهية نلمس مجمل العلاقات من خلال التعامل مع كلمات هذا العنوان.

انزياح شكل فضاء يحدث الدهشة فجرد التفكير أن العصافير مسموح لها الدخول دون تأشيرة يسمح للقارئ بتكوين أفكار مهمة عن محتوى المتن. إنه لعب بالألفاظ متميز بقدرته يمنح اتصالا معرفيا يرقى إلى الجمالية وتشعرنا بلذة شعرية بـ "علامات دلالية تشرع أبواب النص أمام المتلقي/ القارئ وتشحنه بالدقة الزاخرة بروح الولوج إلى أعماق النص لما تحمله هذه العتبات من معانٍ وشفرات لها علاقة مباشرة بالنص، تنير دروبه وهي تتميز باعتبارها عتبات لها سياقات تاريخية ونصية ووظائف تأليفية تختزل جانبا مركزيا من منطلق الكتابة"²³. فبنية العنوان تفتح مجالا لمكونات دلالية توازي عمقا متصلا يبرز عناصر غير متماثلة لكنها تحفل بانتظام يكون مدلول العنوان.

استخدام يغير البنى ليشكل صياغة بعواملها تضبط سمات العنوان وتكشف ذلك الخرق الذي يتوخى من خلاله الكاتب إحداث عملية إثارة، إنه تجاوز للمعاني بمقصدية تخلق استمرارية معانٍ جديدة وتسمح بإبراز وظائف العنوان.

9. عنوان: "الكتابة فتح اختراق ومغامرة"²⁴.

عنوان عرف الكتابة وجمعها بثلاث كلمات (فتح، اختراق، مغامرة)، لا محالة إنها عملية تحرير وفي كل مستوياتها تحمل هذه الكلمات عمقا كبيرا ومجالات مفتوحة بجمولة مغرية، تشخص لحركات حسية وتؤسس لمجال الكتابة؛ فما هي إلا نتاج تشترك فيه ثلاث تقنيات؛ أنت تكتب فهذا فتح واختراق ثم مغامرة. بمنطق ما الذهن يشغل أثناء الكتابة بمخطط معين ينتقل عبر مستويات داخلية، حركات بعنق مجالها هي فتح،

واتساعها اختراق، وحركتها الداخلية تعتبر مغامرة. هذه الكلمات تلخص وتمهض بمفهوم للكتابة يقيد انتباه القارئ ويجعله تحت غطاء بخصائصه المميزة ليدرك في الأخير أن تحقيق الكتابة ليس سهلا بل لابد أن يشمل المرور بعدة مراحل .

إن هذا العنوان يبدو مشوقا محفزا بتركيزه على أشكال وطرق الكتابة، فلا بد من تضافر أنساق محددة وبأشكال مفتوحة تخترق وتتعلق مع المغامرة حتى تصير في مظهراتها كتابة. لقد لخص نزار في هذا العنوان أبعادا عميقة في ثلاث كلمات وبناء إبداعي يحمل شعرية مغرقة، وهنا تظهر قيمة " أن يراعي الدارس وظيفة العنوان في تشكيل اللغة الشعرية ليس فقط من حيث هو مكمل ودال على النص، ولكن أيضا من حيث هو علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال معا " ²⁵ فهناك استجابة واضحة بين البنى تدل على حركية تحديثها الكتابة، وهناك تجسيد وتلاؤم يحقق الانتقال بين المراحل الثلاث؛ فالعنوان اتخذ في تشكيلته ثلاث شفرات تجسد بعمق معنى الكتابة: (فتح، اختراق، مغامرة).

كل هذا يؤكد الفعالية والارتباط بين هذه العناصر ويؤسس لاشتغال تقوم عليه الكتابة بفضاء مفتوح مروروا بالاختراق وصولا إلى المغامرة. إنه تجاوز إلى العمق يحقق تفاعلا بين البنى في شبكة لغوية شاملة ترسي دعائم الكتابة، وفي تشكيل عنواني ببنية دلالية مكتملة تؤكد حالة من التعلق القائم لتأسيس الكتابة.

10. عنوان: " الصلاة بالجنس " ²⁶

يحمل العنوان كلمتان متنافرتان (الصلاة، الجنس) فلكل منهما حقل دلالي تنتمي إليه، فمن غير المنطقي أن تجمع بين الصلاة التي تمثل (العبادة، الطهارة، والنقاء) والجنس الذي يعبر عن (الرغبة والشهوة). فالعلاقة بين الكلمتين تغدو مستحيلة والجمع بينها يحدث ذلك التوتر والتنافر. يمكن القول إنه استقطاب يحدث تراكما دلاليا يفضي إلى تناقضات حسية داخلية بسبب هذا الاختلاف بين اللفظتين، فالصلاة ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الديني والروحي، والجنس مرتبط بالجانب العاطفي، الوجداني، والانفعالي.

إن ارتباط الكلمتين يجعلك تقف عند حد من الإثارة، والسفر بعيدا إلى توقعات داخل المتن، تسمح لك بالتنوع بلذة قبل أن تلج فيه، فاللغة بتلك المكامن التي جمعت في العنوان تحرك وعي الإنسان وتجعل الألفاظ تنزاح عن المألوف؛ هذه الإزاحة تحدث حدة في الشعور وتكشف عن سلطة ذاتية عميقة الجذور. هذا التراكم يقلب التصورات والمفاهيم ويتوظيف محكم يشكل فضاء من التناقضات تتولد عنه شعرية عميقة حيث " تستغل عتبة العنونة إنتاجية شعرية عالية في سياق الإدراك النوعي لأهمية وضع العتبات النصية في ممارسة التشكيل النصي وهي تنصدر العمل على صعيد التلقي البصري، والإيحاء الذهني " ²⁷.

إذ أن الجمع بين البنيتين (الصلاة/ الجنس) كان بمنظومة لغوية تنتقل إلى تجاوز يؤسس لسياق إنتاجي يشكل فيه العنوان قابلية للتواصل وإحداث علاقات كفيفة بوظائفها أن تحقق أبعادا مشبعة بالديناميكية، وتؤكد عمق اللغة بمؤثراتها نحو أدق التفاصيل مشكلة شعرية بسايتها ومحقة أفقا يخدم التنوع والاختلاف ويجسد روح النص.

11. عنوان "الكلام الذي لا يتكلم"²⁸

يرتكز هذا العنوان على شفرة رمزية تضعك في حيرة وتناقض وتحيلك إلى التساؤل: كيف هو هذا الكلام الذي لا يتكلم؟ فمن صفة الكلام أنه شكل من أشكال التعبير، فكيف لا يتكلم الكلام؟ قد نصف هذا العنوان بالمقابلة الموححة والشائكة والمفارقة التي تجعل الفكر في نشاط دائم، إنه انزياح دلالي حين وصف الكلام بصفة الكلام ولكنها صفة مخصوصة بالبشر. هذه الجوانب الخفية في العنوان لا تظهر إلا بعد الاطلاع على مضمون النصوص النثرية، فالكلام الذي لا يتكلم يقصد به نزار قباني ذلك الإيقاع وذلك في قوله "القصيدة تبدأ عندي بهذين موسيقي بغمغمة بكلام لا كلام له"²⁹. إذن الكلام الذي لا يتكلم هو إيقاع يختزل شكلا من الأشكال ويأخذ نمطا معينا يتكلم ويسمع صوت القصيدة قبل قراءتها.

هذا التداخل بين الكلمتين (الكلام- لا يتكلم) أسهم بشكل كبير في تمويه الدلالة الحقيقية في عنوان تداخلت فيه خيوط النص وبشكل يصعب التمييز وإدراك المعنى إلا بعد قراءة النص؛ لأنه يخفي خلفه رباطا حيويا يجمعنا بشكل واضح مع المتن وبطريقة شعرية فـ "من الممكن جدا أن يؤسس العنوان لشعرية من نوع ما، حين يثير مخيلة القارئ، ويلقي به في مذاهب، أو مراتب شتى من التأويل، ويستفز كفاءته القرائية من خلال كفاءة العنوان الشعرية"³⁰. ففي الدلالات المكثفة التي شكلتها البنى في علاقات تفاعلية؛ إحالة إلى خطاب بآلياته وأبعاده ومضامينه الفكرية يحقق تحولا في الإشكالات الجوهرية التي يطرحها العنوان.

تنافر أحدثته البنى (الكلام/ الذي لا يتكلم) بصياغة تثبت إدعاء يحمل خصوصية وتميزا، لأن مادة العنوان قائمة على مجموعة من التداخلات التي تحقق في وظيفتها بعدا لغويا وجماليا يجعل من العنوان أداة متناثرة بمشاهدتها؛ ولكنها حاضرة مهيمنة على جسد النص "فنص العنوان مكثف مخبوء في دلالاته بما يحمله النص المطول بشكل موحى إشاري مكثف"³¹، لتجمع الإمكانيات في قالب يحقق التجاوز ويسعى إلى مجال لغوي شعري؛ لأن خصائص البنى تبرز ذلك التنافر الذي يجسد تماسكا ودقة في مفاصل العنوان. حمولة يشغل وفقها العنوان بخاصية مفعمة بعمق اللغة واستجابتها لأبعاد شعرية وجمالية تجعل من العنوان محورا أساسيا ولبا يخدم النص بكل عناصره وأبعاده.

خاتمة:

إن شعرية العنوان في النثر التزاري تفضي إلى شبكة منهجية بتقنياتها وبطريقة منسجمة جاليا تفتح المجال أمام طاقة فريدة موجزة في الكلمات، وعليه يمكن القول إنها:

- تكشف عن ذلك التجاوز الذي يعكس حركية تصل إلى التوازن والانسجام ليتناسب مع مضمون النص.
- تعبر عن ذلك النسق المفتوح الذي يشد اتجاهه إلى أبعاد بنيات جالية؛ لتؤكد تلك المرافقة المستمرة للقارئ نحو ربط تعالقي يسعى إلى إبراز علامات تثبت مستوى المضمون.

- تطمح إلى ذلك الصدام الفكري الذي يعكس الرؤى بدقة ويحفظ توازن النص، ويشير في نفس الوقت إلى التعالق الدقيق والتشابك.
- يحقق من خلالها الأديب أهدافا بأطر تتسم بالجمالية والتأثير الذي يصنع الاستثناء، ويعطي للعنوان تلك الخصوصية والسلطة المفتوحة على الوعي فيعتبر بذلك جوهر ومفتاح النص.

هوامش:

- ¹ عز الدين جلاوي، سلطان النص "دراسات"، (2008)، دار المعرفة، (الجزائر)، ص 137.
- ² عداد الضمور، وظائف العنوان في شعر نادر هدى، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، الأردن، مجلد 28، العدد 2014/5، ص 1257.
- ³ باسمه درمش، عتبات النص، مجلة علامات في النقد، جدة، مجلد 16، العدد 2007/61، ص 43.
- ⁴ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، (1993)، مج 7، منشورات نزار قباني، (بيروت لبنان)، ص 29.
- ⁵ ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية "1970-2000"، (2004)، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، (بيروت)، ص 110.
- ⁶ المصدر نفسه، ص 373.
- ⁷ بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، (2001)، مكتبة كنانة للنشر، ط 1، (الأردن)، ص 57-58.
- ⁸ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 8، ص 202.
- ⁹ رشيد يحيى، الشعر العربي الحديث "دراسة في المنجز النصي"، (1998)، إفريقيا الشرق، (بيروت لبنان)، ص 110.
- ¹⁰ ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية، ص 156.
- ¹¹ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 7، ص 262.
- ¹² المصدر نفسه، ص 262.
- ¹³ علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية، (1997)، دط، دار الشروق للنشر والتوزيع، (عمان الأردن)، ص 173.
- ¹⁴ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 7، ص 259.
- ¹⁵ رومان ياكسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، (1988)، دار توبقال للنشر، (الدار البيضاء)، ص 73.
- ¹⁶ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 8، ص 176.
- ¹⁷ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، (1992)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت)، ص 55.
- ¹⁸ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 7، ص 133.
- ¹⁹ محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، (1998)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر)، ص 29.
- ²⁰ محمود المميسي، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، مجلد 27، العدد 1997/313، ص 114.
- ²¹ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 8، ص 215.

- ²² ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية، ص 115.
- ²³ صلاح صالح، سرد الآخر " الأنا والآخر عبر اللغة السردية "، (2003)، ط 1، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء المغرب)، ص 17.
- ²⁴ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 8، ص 172.
- ²⁵ رشيد بجاوي، الشعر العربي الحديث " دراسة في المنجز النصي، ص 110.
- ²⁶ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 7، ص 506.
- ²⁷ محمد صير عبيد، الفضاء الشعري الأدوني، (2012)، ط 1، دار الزمان للنشر والتوزيع، (دمشق)، ص 205-206.
- ²⁸ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، مج 7، ص 491.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص 491.
- ³⁰ بسام موسى قطوس، سمياء العنوان، ص 58.
- ³¹ خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، (2000)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق).

قائمة المصادر والمراجع:

1. باسمه درمش، عتبات النص، مجلة علامات في النقد، جدة، مجلد 16، العدد 2007/61.
2. بسام موسى قطوس، سمياء العنوان، (2001)، دار كنانة للنشر، ط 1، (أريد الأردن).
3. خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، (2000)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق).
4. رشيد بجاوي، الشعر العربي الحديث "دراسة في المنجز النصي"، (1998)، إفريقيا الشرق، (بيروت لبنان).
5. رومان ياكسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، (1988)، دار توبقال للنشر، (الدار البيضاء).
6. صلاح صالح، سرد الآخر " الأنا والآخر عبر اللغة السردية "، (2003)، ط 1، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء المغرب).
7. عز الدين جلاوي، سلطان النص "دراسات"، (2008)، دار المعرفة، (الجزائر).
8. علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية، (1997)، دط، دار الشروق للنشر والتوزيع، (عمان الأردن).
9. علي جعفر العلاق، شعرية الرواية علامات في النقد، (1997)، المجلد 6، ج 23.
10. عماد الضمور، وظائف العنوان في شعر نادر هدى، (2013)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، الأردن، مجلد 28، العدد 2014/5.
11. محمد صير عبيد، الفضاء الشعري الأدوني، (2012)، ط 1، دار الزمان للنشر والتوزيع، (دمشق).
12. محمد فكري الحجاز، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، (1998)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر).
13. محمود الميمسي، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، مجلد 27، العدد 1997/313.
14. ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية "1970-2000"، (2004)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت).
15. نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، (1993)، مج 7 / مج 8، منشورات نزار قباني، (بيروت لبنان).